مجلة معهد الإمام الشاطبي

شعائر الله في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

د أحمد بن مرجي بن صالح الفالح

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم الإدارية والإنسانية - جامعة الجوف

- من مواليد عام ١٤٠٠هـ بمدينة سكاكا الجوف بالمملكة العربية السعودية.
- تخرج في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض عام ١٤٢٣هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود عام ١٤٢٩هـ بأطروحته: " أثر علم أسباب النزول عند الواحدي في تفسيره (البسيط)"، كما نال شهادة الدكتوراه من قسم دراسات القرآن والسنة بكلية التراث ومعارف الوحي بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام١٤٣٢هـ بأطروحته: "الشيخ فيصل المبارك ومنهجه في تفسيره توفيق الرحمن في دروس القرآن".
- من أعماله المنشورة: "الترتيل وأثره في تدبر التنزيل"، "الإجازة القرآنية أصلها وحقيقتها"، "مراكز إعجاز القرآن الكريم بين الواقع والمأمول: دراسة تطبيقية نقدية".
- البريد الشبكي: amfaleh@ju.edu.sa

الملخص

يعنى هذا البحث بدراسة لفظة شعائر الله في القرآن الكريم دراسة موضوعية، ويهدف إلى بيان معنى شعائر الله في اللغة والاصطلاح، والألفاظ المرادفة لها، وبيان الفرق بين الشعائر والمشاعر، وأماكن ورود لفظة شعائر الله في القرآن الكريم، وتحديد المراد من لفظة شعائر الله في القرآن الكريم على وجه الخصوص، كما يتناول البحث المسائل المبنية على معرفة معنى شعائر الله في القرآن الكريم، وقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي، وخلصت إلى عدة فوائد من أهمها: أن الشعائر في المعنى الاصطلاحي لا تخرج كثيراً عن المعنى اللغوي، فهي في اللغة العلامة، وفي الاصطلاح معالم الدين والطاعة والقرب، وأن الله جلا وعلا أضاف الشعائر لنفسه إضافة تعظيم وتشريف، وأن لفظتي الشعائر والمشاعر إن اجتمعتا افترقتا فتطلق الشعائر على العبادات، والمشاعر على مواضع العبادات، وإن افترقتا اجتمعتا، وأن لفظة شعائر الله جاءت في أربعة مواضع في القرآن يراد بها مناسك الحج على الراجح وإن كان لا يمنع من دخول غيرها فيها عند الاطلاق، وقد ظهر من خلال هذا البحث أيضاً أهمية تعظيم شعائر الله في النفوس ووجوب إظهار الشعائر لا سيما في بلاد الإسلام.

الكلمات المفتاحية: شعائر الله، المشاعر، البُدن، تقوى القلوب.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١] ،﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] ، أما بعد:

فإن الله عز وجل أنزل كتابه تبياناً لكل شيء، وهداية ومنهجاً قويماً، ولهذا تناوله العلماء قديماً وحديثاً بالدراسة والعناية ليستخرجوا من مكنونه ما يقوم به دينهم ودنياهم، فأولوه جل وقتهم حفظاً وتلاوة وتأملاً وتدبراً؛ ومما دفعهم لهذا محبة كتاب الله والرغبة في المساهمة بما يخدمه تقرباً بذلك لله جل وعلا، ولهذا فإني أحببت السير على طريقهم، واقتفاء أثرهم، والنهج على منوالهم؛ رغبة في خدمة كتاب الله العزيز، ومشاركة في الجهود التي تبذل لإبراز معانيه وصيانته عن العبث، وقد بدا لي أثناء مراجعاتي لكتاب الله جل وعلا تكرار ورود لفظ شعائر الله في القرآن الكريم، فرغبت بجمع الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه اللفظة، ودراستها دراسة موضوعية.

ومما شجعني ودفعني للبحث في هذا الموضوع أهمية شعائر الله في نفوس المسلمين؛ لا سيما في هذه البلاد الطاهرة المباركة بلاد الحرمين، مهوى أفئدة المسلمين في شتى بقاع الدنيا، والتي حوت أبرز هذه الشعائر وأعظمها في قلوب المؤمنين، وقد أسميته (**شعائر الله في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"**).

موضوع البحث:

شعائر الله في القرآن الكريم، دراسة موضوعية.

حدود البحث:

الآيات الواردة في كتاب الله عز وجل والمشتملة على لفظة (شعائر الله)؛ مضافاً إليه ما ورد في بعض الأحاديث النبوية والتي تؤدي لذات المعنى.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

١. بيان المراد من لفظة الشعائر في اللغة والاصطلاح.
٢. إبراز المراد من إضافة الشعائر لله جل وعلا.
٣. ذكر أنواع الشعائر، والألفاظ المرادفة لها.
٤. بيان الفرق بين الشعائر والمشاعر.
٥. ذكر الخلاف في المراد من لفظة (شعائر الله) في القرآن.
٦. بيان الثمرة من الخلاف في المراد بلفظة (شعائر الله).
٧. معرفة أهمية تعظيم شعائر الله وإظهارها.

الدراسات السابقة:

راجعت كافة المكتبات المتاحة فلم أقف على من كتب في هذا الموضوع كتابة مستقلة، وأحسب أن هذا البحث انفرد بمناقشة موضوع الشعائر مناقشة موضوعية من خلال ما جاء في كتاب الله جل وعلا، ولم يُسبق إليه، لكن ثمة أبحاث تطرقت لشيء من مفردات هذا البحث منها على سبيل المثال:

١. الشعائر في العبادات، للدكتور إبراهيم بن محمد الحقيل، بحث منشور على موقع الألوكة الالكتروني.
٢. التفسير البلاغي لآيات الحج في سورتي البقرة والحج، لمعن توفيق دحام، مجلة التربية والعلم، بكلية التربية بجامعة الموصل، المجلد (١٤)، العدد (٢)، ٢٠٠٧م.

٣. مقاصد الحج في القرآن الكريم، للدكتور عادل بن علي الشدي، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٤٤)، ذو القعدة ١٤٢٩هـ.

٤. الإعجاز التشريعي لآيات الحج في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، لأحمد محمد الكرنز، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ١٤٢٩هـ.

منهج وإجراءات البحث:

الدراسة موضوعية، وذلك من خلال بيان مفردات النص لغوياً وشرعياً ومن ثم النظر فيما يستنبط منها من فوائد ومسائل والتي تحقق أهداف البحث.

أما من حيث الإجراءات العملية فكما يلي:

- ذكر النصوص القرآنية التي يستدل بها وعزوها إلى موضعها بذكر رقم الآية واسم السورة.
- ذكر الأحاديث النبوية التي يستدل بها على دلالة من دلالات النص، وتخريجها من مصادرها الأصلية حسب المتبع في طريقة التخريج العلمي بشكل مختصر.
- قدمت الصحيحين في التخريج لمكانتهما، ورتبت البقية حسب تاريخ الوفاة إن وجدت.
- إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فيكون الاقتصار عليهما في التخريج دون غيرهما.
- إذا كان الحديث في غير الصحيحين فأذكر من خرج الحديث، واقتصر في الغالب على المسند أو السنن، مع بيان الحكم على الحديث إجمالاً إن تيسر.
- عزو الأقوال إلى قائليها، والمعلومات المنقولة نصاً، أو بتصرف إلى مراجعها في الحاشية، فإن كان المنقول نصاً وضعته بين علامتي التنصيص هكذا « ... » ، وإن كان النقل بتصرف مني لم أضعه بين علامتي التنصيص.

- أكتفي في الحاشية بـ:(عنوان الكتاب، واسم المؤلف (المشتهر به)، والجزء/ الصفحة) حسب المنهج العلمي المعمول به في توثيق الدراسات الشرعية، وإذا تكرر الكتاب فإني أكتفي بذكره دون اسم المؤلف إلا إن كان هناك تشابه في أسماء الكتب فاضطر إلى كتابة اسم المؤلف مع عنوان الكتاب.

خطة البحث:

جعلت الكتابة في هذا البحث في : مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة:

اشتملت على: موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه وإجراءاته، وخطة البحث.

المبحث الأول: المراد بالشعائر، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الشعائر في اللغة.

المطلب الثاني: الشعائر في الاصطلاح.

المطلب الثالث: إضافة الشعائر لله جل وعلا.

المطلب الرابع: أنواع الشعائر.

المطلب الخامس: الألفاظ المرادفة للشعائر.

المطلب السادس: الفرق بين الشعائر والمشاعر.

المبحث الثاني: ورود شعائر الله في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي اشتملت على لفظة "شعائر الله".

المطلب الثاني: الخلاف في المراد بشعائر الله في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: ثمرة الخلاف في المراد بشعائر الله .

المبحث الثالث: تعظيم شعائر الله وإظهارها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية تعظيم شعائر الله.

المطلب الثاني: إظهار شعائر الله.

الخاتمة: واشتملت على: أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: واشتملت على: ثبت المراجع، فهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، وأن ينفعني به والمسلمين.

المبحث الأول

المراد بالشعائر

المطلب الأول : الشعائر في اللغة

الشعائر جمع شَعِيرَة، وهي العلامة، قال الأزهري(ت٣٧٠هـ): «وقال الأصمعي: الإشعار: الإعلام، والشّعائر: العَلامة» [١]، وقال الزجاج (ت٣١١هـ): «وواحدة الشعائر شَعيرة، وإنما قيل شعائر لكل عَلَمٍ مما تُعُبّد به؛ لأن قولهم شعَرْت به: عَلِمْتُهُ، فلهذا سُمّيت الأعلام التي هي متعبدات شعائر» [٢].

وقيل هي البدنة المهداة، قال ابن منظور (ت٧١١هـ): «والشعيرة البدنة المهداة، سميت بذلك لأنه يؤثر فيها بالعلامات، والجمع شعائر، والشعيرة والشِعارة والمشعر كالشّعار» [٣]، وقال الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ): «والشعيرة البَدَنَةُ المُهْداةُ، جمعها: شَعائرُ، وهَنَةٌ تُصاغُ من فِضَّةٍ أو حَديدٍ على شَكْلِ الشَّعيرةِ، تكونُ مِساكاً لِنِصابِ النَّصْلِ» [٤].

المطلب الثاني: الشعائر في الاصطلاح

ينبغي أن نفرق بين مصطلح الشعائر بشكل عام وبين مصطلح شعائر الله في القرآن والذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً، فالشعائر في المعنى الاصطلاحي لا تخرج كثيراً عن المعنى اللغوي [٥]، ولهذا نصّ غير واحد من أهل العلم على أن الشعائر هي معالم الدين والطاعة والقرب [٦]، وقيل هي ما يؤدى من العبادات على سبيل

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/ ١٢٨)

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٣٣).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة شعر، (٤/ ٤١٠).

(٤) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (١/ ٤٣٤)، وكذا العين للفراهيدي (١/ ٢٥١).

(٥) انظر: الموسوعة الفقهية لوزارة الأوقاف الكويتية (٢/ ٩١٦٢).

(٦) انظر: المجموع للنووي (٨/ ١٣٠)، الغرر البهية للسنيكي (٨/ ٤٤)، وشرح مختصر خليل للخرشي (٧/ ٤٨٦)، وحاشية الدسوقي (٥/ ٤٨٢)، والموسوعة الفقهية لوزارة الأوقاف الكويتية (٢/ ٩١٦٢).

الاشتهار[١]، وقيل هي كل ما أشعر الله العباد وأعلمهم بحرمته ومكانته[٢].

المطلب الثالث: إضافة الشعائر لله جل وعلا

تكرر في كتاب الله في أكثر من موضع إضافة بعض الأشياء لله جل وعلا، فأضاف سبحانه وتعالى المساجد له في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٤]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]، وأضاف الصبغة له في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]، وأضاف الشهادة له سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، وأضاف الآيات له عز وجل في قوله تعالى: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الأعراف:٣٥]، وأضاف الناقة له جل ذكره في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٦٣]، وأضاف النار له عز وجل في قوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: ٦]، وأضاف الشعائر له في أكثر من آية كما مر معنا سابقاً، يقول الجاحظ (ت٢٥٥هـ): « كل شيء أضافه الله إلى نفسه فقد عظّم شأنه وفخّم أمره»[٣]، وذكر غير واحد من المفسّرين أن الله جل في علاه أضاف هذه الأشياء إليه إضافة تعظيم وتشريف، فنسبتها له جل ذكره إما لإعلاء شأنها ومنزلتها أو للتهويل من أمرها، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) عند قوله تعالى ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾: «وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها»[٤]، وقال وقال أبو السعود (ت٩٥١هـ) عند قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: «وإضافتها إلى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في إحلالها»[٥]، وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين كلاماً جميلاً عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾،

(١) انظر: رد المحتار لابن عابدين (١/ ٤٦).

(٢) انظر: شرح زاد المستقنع للشنقيطي (١/ ٩٨).

(٣) انظر: فقه اللغة وسر العربية للثعالبي (١/ ٨٥).

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٢).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بتفسير أبي السعود (٢/ ١٩٨).

حيث قال: «والمضاف إلى الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: إمّا أن يكون أوصافاً؛ أو أعياناً؛ أو ما يتعلق بأعيان مخلوقة؛ فإذا كان المضاف إلى الله وصفاً فهو من صفاته غير مخلوق، مثل كلام الله وعلم الله، وإذا كان المضاف إلى الله عيناً قائمة بنفسها فهو مخلوق وليس من صفاته، مثل مساجد الله وناقة الله وبيت الله؛ فهذه أعيان قائمة بنفسها إضافتها إلى الله من باب إضافة المخلوق لخالقه على وجه التشريف؛ ولا شيء من المخلوقات يضاف إلى الله عز وجل إلا لسبب خاص به؛ ولولا هذا السبب ما خُص بالإضافة؛ وإذا كان المضاف إلى الله ما يتعلق بأعيان مخلوقة فهو أيضاً مخلوق؛ وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩]؛ فإن الروح هنا مخلوقة؛ لأنها تتعلق بعين مخلوقة»[(١)].

المطلب الرابع: أنواع الشعائر

إذا تقرر أن الشعائر هي معالم الدين والطاعة، فيمكن القول بأن الشعائر تنقسم من حيث كنهها وماهيتها إلى ثلاثة أنواع ذكرها ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) في تفسيره[(٢)]، وهي على النحو الآتي:

١. شعائر مكانية مثل الصفا والمروة والمشعر الحرام.
٢. شعائر زمانية مثل الشهر الحرام وشهر رمضان.
٣. شعائر ذوات مثل الهدي والقلائد.

وعدّ بعض العلماء أسماء الله الحسنى من الشعائر، ومن ذلك ما ذكره الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله حيث قال: «ومما أشعر الله بتعظيمه أسماؤه الحسنى...»، وقال: «فأسماء الله تعالى يجب احترامها، بمعنى يجب أن لا تمتهن، ويستحب احترامها أيضاً فيما كان من الأدب ألا يوصف به غير الرب جل وعلا، وهذا راجع

(١) انظر: تفسير ابن عثيمين (٤/ ٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٤/ ١٢٠)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٢/ ٩١٦٣).

إلى تعظيم شعائر الله».[١]

المطلب الخامس: الألفاظ المرادفة للشعائر

يراد بالألفاظ المرادفة من الكلمات التي تعطي نفس المعنى أو ربما تدل على نفس الموضوع[٢]، وقد جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عدد من الألفاظ المرادفة للشعائر، وأشار إليها بعض المفسرين في كتبهم عند الحديث عن شعائر الله، ومن تلك الألفاظ ما يأتي:

١. حرمات الله، وقد جاء عند الطبري (ت٣١٠هـ) في تفسيره ما يدل على أن حرمات الله بمعنى شعائر الله؛ وذلك عند بيان المراد بقوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٢]، حيث قال: «فقال بعضهم معناه: لا تحلوا حرمات الله»، ونقل عن عطاء رحمه الله أنه سئل عن شعائر الله فقال: «حرمات الله، اجتناب سخط الله واتباع طاعته، فذلك شعائر الله»[٣]، وكذلك يفهم من كلام الشيخ السعدي (ت١٣٨٨هـ) في تفسيره لهذه الآية أيضاً حيث قال في معناها: «أي محرماته التي أمركم بتعظيمها»[٤]، وفي ذات السياق جاء تفسير ابن عاشور لهذه الآية أيضاً حيث قال في بيان المراد بها: «فعلى التفسير الأول تكون جملة ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ ٱللَّهِ﴾ إلى آخرها عطفاً على جملة ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحج:٣٠] إلخ، وشعائر الله أخصّ من حرمات الله، فعطف هذه الجملة للعناية بالشعائر»[٥].

٢. فرائض الله: وقد ذكره الطبري عند بيان المراد بقوله تعالى ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ ٱللَّهِ﴾: «وأولى التأويلات قول عطاء الذي ذكرناه من توجيهه معنى ذلك إلى: لا

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ١٧٤).
(٢) انظر: تاج العروس للزبيدي (١/ ١٣).
(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري (٩/ ٤٦٢).
(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١/ ٢١٨)
(٥) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٠).

تحلوا حرمات الله، ولا تضيعوا فرائضه»[(١)]، وإليه أشار الماوردي (ت٤٥٠هـ) عند بيان المراد بقوله تعالى:﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾[الحج:٣٦]:«وشعائر الله تعالى دينه في أحد الوجهين، وفروضه في الوجه الآخر»[(٢)].

٣. حدود الله: وقد جاءت الإشارة إليه عند الطبري في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾: «فقال بعضهم معناه: لا تحلوا حرمات الله، ولا تتعدوا حدوده»[(٣)].

المطلب السادس: الفرق بين الشعائر والمشاعر

اختلف أهل العلم في المراد بالشعائر والمشاعر على قولين على النحو الآتي:

القول الأول: ذهب بعض العلماء إلى عدم التفريق بين الشعائر والمشاعر، وأنهما لفظان يدلان على معنى واحد وهو مواضع العبادات، قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): «ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس والواحد مشعر، ويقال شعائر الحج الواحد شعيرة»[(٤)]، وقال البغوي (ت٥١٦هـ): «وكل ما كان معلماً لقربان يتقرب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة، فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر الله ومثلها المشاعر»[(٥)]، ورجّح الرازي (ت٦٠٦هـ) قول من قال قال أن الشعائر هي مواضع العبادات في إشارة منه على أن الشعائر والمشاعر لفظان يدلان على معنى واحد، حيث قال: «الشعائر إما أن نحملها على العبادات أو على النسك، أو نحملها على مواضع العبادات، فإن قلنا بالأول حصل في الكلام حذف؛ لأن نفس الجبلين لا يصح وصفهما بأنهما دين ونسك، فالمراد به أن الطواف

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن (٩/ ٤٦٢).
(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي (٣/ ١١٧).
(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن (٩/ ٤٦٢).
(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (١/ ٢٦٢).
(٥) انظر: معالم التنزيل للبغوي (١/ ١٧٢).

بينهما والسعي من دين الله تعالى، وإن قلنا بالثاني استقام ظاهر الكلام؛ لأن هذين الجبلين يمكن أن يكونا موضعين للعبادات والمناسك ...»[(١)].

والقول الآخر: وذهب بعض العلماء إلى القول بالتفريق بين الشعائر والمشاعر، حيث قالوا إن الشعائر تطلق ويراد بها العبادات أو المناسك، والمشاعر تطلق ويراد بها مواضع العبادات أو المناسك، وبمعنى آخر أن المشاعر هي الأماكن التي تؤدى فيها الشعائر، قال ابن عادل (ت٧١٤هـ) عند بيان المراد بشعائر الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]: «والمراد بها في الآية الكريمة مناسك الحج، ونقل الجوهري أن الشعائر هي العبادات، والمشاعر أماكن العبادات، ففرّق بين الشعائر والمشاعر»[(٢)]، وقال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «ومشاعر الحج: مواضع النسك، سميت بذلك لأنها معالم الحج، والشعيرة: واحدة الشعائر، وهي أعلام الحج وأعماله»[(٣)]، وقال الرازي صاحب الصحاح (ت٦٦٦هـ): «والشعائر أعمال الحج، وكل ما جعل علماً لطاعة الله تعالى، قال الأصمعي الواحدة شعيرة، وقال بعضهم شعارة، والمشاعر مواضع المناسك»[(٤)]، وقال ابن عثيمين(ت١٤٢١هـ) عند بيانه لمعنى المشعر في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨] : «وهو المكان الذي تؤدى فيه شعيرة من شعائر الله ﷻ»[(٥)].

والذي يظهر لي والله أعلم أنه يمكن الجمع بين هذين القولين بأن يقال: إنّ هذين اللفظين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فإذا اجتمعا أريد بالشعائر العبادات أو المناسك وأريد بالمشاعر مواضع العبادات أو المناسك، وإذا افترقا أريد

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢/ ٤٥٦).
(٢) انظر: تفسير اللباب لابن عادل (٢/ ٢١٧).
(٣) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٥١).
(٤) انظر: مختار الصحاح للرازي (١/ ٣٥٤).
(٥) انظر: تفسير القرآن لابن عثيمين (٤/ ٣٣٩).

بهما العبادات أو المناسك ومواضعها، ولعل مما يُستأنس به ويدعم هذا الجمع ما نقل عن عبد الله بن عمر ﷺ حين صار بالمزدلفة، حيث قال: «هذا كله مشاعر إلى مكة»، وكان يقصد أنها معالم من معالم الحج ينسك في كل بقعة منها بعض مناسك الحج[١].

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٤/ ١٨٢).

المبحث الثاني

ورود شعائر الله في القرآن الكريم

المطلب الأول: الآيات التي اشتملت على لفظة "شعائر الله" في القرآن

جاءت لفظة "شعائر الله" في القرآن الكريم في أربعة مواضع، سأوردها حسب ترتيبها في المصحف مع شيء من تفسيرها، وهي على النحو الآتي:

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

سبب نزول هذه الآية: «**أخرج البخاري**[(١)] **عن عروة قال: سألت عائشة** رضي الله عنها **فقلت لها أرأيت قول الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ **فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، قلت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأمصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهلّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلمّا أسلموا سألوا رسول الله** ﷺ **عن ذلك، قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى** ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ **الآية، قالت عائشة** رضي الله عنها **وقد سنّ رسول الله** ﷺ **الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما**».

واختلفت أقوال العلماء في مناسبة هذه الآية لما قبلها، فقيل إن الله ﷻ لما ذكر الصبر وثواب الصابرين عقبه بذكر الجهاد والحج لما فيها من الأمور المحتاجة إليه[(٢)]؛ وهو الأوجه في نظري والأقرب لسياق الآيات، وقيل إن هذه الآية نزلت

---

(١) في صحيحه (٢/ ٥٩٢) حديث رقم (١٥٦١).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٤/ ١٨٢)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٩٧).

بعد نزول آية تحويل القبلة بسنين، فوضعت في هذا الموضع لمراعاة المناسبة مع الآيات الواردة في اضطراب الفرق في أمر القبلة والمناسك[١].

قوله ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾: خبر يقتضي الأمر بما عهد من الطواف بهما، وجيء (بإن) من باب التوكيد، حيث إن المخاطبين مترددون في كونهما من شعائر الله، ويعتقدون أن السعي بينهما من أحوال الجاهلية، و﴿ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ اسمان لجبلين متقابلين معروفين بمكة في طرفي المسعى؛ ولذلك أدخل فيهما الألف واللام، والصفا: الحَجَرُ الأمْلَسُ الصُّلْبُ. وصَفَاةٌ صَفْوَاء وصَفْوَان، الواحِدَةُ صَفْوَانَة: وهي الحِجَارَةُ لا تُنْبِتُ شَيْئاً[٢]، والمروة: حجارة بيضٌ بَرَّاقة تكون فيها النار وتُقْدَح منها النار، واحدتها مَرْوَةٌ وبها سميت المَرْوَة بمكة شرفها الله تعالى.[٣]

وقوله ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي من أعلام دينه[٤]، قال ابن عاشور: «ومعنى وصف الصفا والمروة بأنهما من شعائر الله، أن الله جعلهما علامتين على مكان عبادة كتسمية مواقيت الحج مواقيت، فوصفهما بذلك تصريح بأن السعي بينهما عبادة، إذ لا تتعلق بهما عبادة جعلا علامة عليها غير السعي بينهما، وإضافتهما إلى الله لأنهما علامتان على عبادته أو لأنه جعلهما كذلك»[٥].

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ جاء التأكيد بهذه الآية ليدفع وهم من توهّم وتحرج من المسلمين عن الطواف بينهما؛ لكونهما تعبد عندهما الأصنام في الجاهلية، ولا يعني ذلك أن الطواف غير لازم، فلَم يقل أحد بهذا القول، قال الطبري: «فليس في الآية دلالة على أنه عَنى به وضع الحَرج عمن

(١) انظر: التحرير والتنوير (١/ ٤٦٠).

(٢) انظر: المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٢/ ٢٣٥).

(٣) انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٧٥).

(٤) على ما سيرد من تفصيل في الخلاف في المراد بشعائر الله في القرآن في المطلب الذي يلي هذا.

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١/ ٤٦١).

طاف بهما، من أجل أن الطواف بهما كان غير جائز بحظر الله ذلك، ثم جُعل الطواف بهما رخصة؛ لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظُر ذلك في وقت، ثم رخّص فيه بقوله ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ »[(١)]، وقد دل تقييد نفي الجناح فيمن تطوّف بهما؛ على مشروعية الطواف بالبيت في كل وقت وحين، فهو عبادة مفردة، بخلاف السعي فلا يمكن التطوع به مفرداً إلا مع انضمامه لحج أو عمرة.[(٢)]

وقد نقل عن ابن عباس وابن مسعود وأُبي بن كعب قراءة (أن لا يطوّف بهما) وهي قراءة شاذة[(٣)]، وقد جاء مثله في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف:١٢]، وقول الراجز:

وما ألوم البِيضَ أن لا تسْخَرا ..... لما رأين الشَّمَطَ القفندرا[(٤)][(٥)]

الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾

سبب نزول هذه الآية: «رُوي أنها نزلت في الحُطم[(٦)] واسمه شريح بن ضبيعة البكري[(٧)]، أتى المدينة وخلّف خيله خارج المدينة، ودخل وحده على النبي ﷺ

---

(١) انظر بتصرف: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٣/ ٢٣١)، وتيسير الكريم الرحمن (٣/ ٢٣١).

(٢) انظر بتصرف: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٧٦).

(٣) حكم بإنكارها وشذوذها الطبري في الجامع في تأويل آي القرآن (٣/ ٢٤٥)، والألوسي في روح المعاني (٢/ ٧٢)، والرازي في مفاتيح الغيب (٢/ ٤٥٩) وقال:" لا يمكن اعتبارها في القرآن؛ لأن تصحيحها يقدح في كون القرآن متواتراً".

(٤) الشَّمَط: الشيب، القفندرا: المنظر القبيح. انظر: معجم القواعد العربية للدقر (٢٤/ ٢).

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٣/ ٢٤٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ١٨٢)

(٦) الحُطَم: السواق يَعنف، يحطم بعض الإبل ببعض. انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٦٢).

(٧) شُريح بن ضبيعة، وأمه هند بنت حسان بن عمرو بن مرثد، لقب بالحُطم بسبب بيت شِعر يمدحه فيه رشيد العنزي جاء فيه: قد لفّها الليل بسواق حُطم، أدرك الإسلام وأسلم، ثم ارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ. انظر بتصرف: الوافي بالوفيات للصفدي (٥/ ٢٠٣).

فقال له: إلى ما تدعو الناس؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن مُحَمَّداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فقال: حسن، إلاّ أن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم، وكان النبي ﷺ قال لأصحابه: يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان، ثم خرج شريح من عنده، فقال رسول الله ﷺ: لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم، فمرّ بسرح المدينة فاستاقه وانطلق، فاتبعوه فلم يُدركوه، فما كان العام القابل خرج حاجاً في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة، وقد قلد الهدي، فقال المسلمون للنبي ﷺ هذا الحُطم قد خرج حاجاً فخلِّ بيننا وبينه، فقال النبي ﷺ: إنه قد قلد الهدي، فقالوا: يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية، فأبى النبي ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾»[(١)].

مناسبة الآية لما قبلها:

أن الله جل وعلا لما بين حرمة إحلال الحرم الذي هو من شعائر الحج عقّب جل شأنه ببيان حرمة إحلال سائر الشعائر[(٢)].

قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ هذا نداء للمؤمنين بأن لا يحلوا شعائر الله، وفي توجيه الخطاب لهم مع أنهم لا يتصور منهم أن يحلوا شعائر الله؛ دلالة على أن المقصود النهي عن الاعتداء على الشعائر الإلهية التي يأتيها المشركون كما يأتيها المسلمون[(٣)]، وإحلال الشعائر يكون بعدم مراعاة حرمتها ومكانتها وعظم منزلتها في الدين.

﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ ما جُعل شعاراً وعلماً للنسك وهي أعلام دينه.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس بلا سند (١/ ١٢٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره من طريق سنيد عن عكرمة، وبنحوه عن السدي (٩/ ٤٧٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن المنذر أيضاً (٣/ ١٠)، وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢/ ٢٤٠)، وسنده ضعيف كما في الاستيعاب (٢/ ١٠).

(٢) انظر: روح المعاني ٤/ ٣٦٥، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٥٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٤/ ١٢٠).

و﴿ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ اسم مفرد يدل على الجنس لأنه في سياق النفي، والمعنى: أي لا تستحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه وغيره من أنواع الظلم قال الله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [التوبة:٣٦]، وقد اختلف المفسرون في المراد بالشهر الحرام في هذه الآية، فمنهم من قال أن المراد به رجب خاصة كالطبري[(١)] وابن عطية[(٢)] وغيرهم، ومنهم من قال أن المراد به الأشهر الحرم الأربعة – ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب–كالقرطبي[(٣)] والشوكاني[(٤)] وابن عاشور[(٥)] وغيرهم.

و﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ ﴾ الهدي هو ما يهدى من النعم إلى بيت الله، وقد نهى الله ﷻ عن استحلاله وعن صده عن الوصول إلى محله، وعن أخذه بالغصب أو السرقة وغيرها.

قال ابن عاشور: «وعطف الشهر الحرام والهدي وما بعدهما من شعائر الله عطف الجزئي على كليه للاهتمام به»[(٦)].

و ﴿وَلَا ٱلۡقَلَـٰٓئِدَ ﴾ وهو نوع خاص من أنواع الهدي المقلدة، تجعل في أعناقها القلائد بحيث يعرف الهدي فلا يتعرض له بغارة أو نحوها، وإنما عطفت على الهدي للتأكيد على احترامها.

الموضع الثالث: في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾.

قوله ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في محل رفع خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك، أو مبتدأ خبره

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٩/ ٤٦٦).
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٢٣٤).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣٩).
(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٦٠).
(٥) انظر: التحرير والتنوير (٤/ ١٢٠).
(٦) انظر: المصدر السابق.

محذوف، أو في محل نصب بفعل محذوف تقديره افعلوا ذلك، وهذا وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين أو بين طرفي كلام واحد، والقصد منه التنبيه على الاهتمام بما سيذكر بعده[(١)]، والمعنى: أي الذي ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من اجتناب الرجس من الأوثان واجتناب قول الزور.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ تعظيم الشعائر يكون بإجلالها والقيام بها وإعطائها حقها على أكمل وجه يستطيعه العبد، و﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أعلام الدين الظاهرة، وقد استدل بهذه الآية غير واحد من أهل العلم على أن الأصل في الأضحية أن يختارها صاحبها سمينة وعظيمة البدن؛ لأن الأضحية من شعائر الله وتعظيمها يكون باستسمانها واستحسانها، وقد سئل ﷺ: **أي الرقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها»**[(٢)]، وقال الشافعي: «والعقل مضطر إلى أن يعلم أن كل ما تقرب به إلى الله عز وجل إذا كان نفيساً كلما عظمت رزيته على المتقرب به إلى الله تبارك وتعالى كان أعظم لأجره»[(٣)].

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ جاء (بإن) هنا للتأكيد، والضمير في إنها عائد إلى الشعائر، والمراد فإن تعظيمها من تقوى القلوب، وإضافة التقوى للقلوب لأنها محلها، وقد جاء عنه ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات**»[(٤)].

الموضع الرابع: في قوله تعالى:﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾

قوله ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ قال ابن منظور: «الذكر والأنثى في ذلك سواء، والجمع بُدُن

(١) انظر بتصرف: فتح القدير (٥/ ١١٤)، والتحرير والتنوير (٩/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٨٩١) حديث رقم (٢٣٨٢)، ومسلم في صحيحه (١/ ٨٩) حديث رقم (١٣٦).

(٣) انظر: الأم للشافعي (٢/ ٢٤٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ١٠) حديث رقم (٦٧٠٦).

وبُدْن ولا يقال في الجمع بَدَن وإن كانوا قد قالوا خَشَبٌ وأَجَمٌ وَرَخَمٌ، والبُدْن السّمَن والاكتناز، وإنما سميّت بدنة لأنها تبدُن أي تَسْمُن»[(١)]، وقد سمّاها سبحانه وتعالى بصفتها لينبه على اختيارها وتعيين الأفضل منها فإنه سبحانه وتعالى أحق ما اختير له[(٢)].

وقد اتفق أهل العلم على إطلاق البُدْن على الإبل، واختلفوا في إطلاقها على البقر على قولين:

الأول: أن البدن تطلق على الإبل فقط ولا تطلق على البقر؛ وقد ذهب إليه ابن مسعود وعطاء والشافعي واختاره القرطبي[(٣)]؛ واستدلوا بما جاء عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة...**» الحديث[(٤)]، فالتفريق بينهما في هذا الحديث ظاهر وبيّن في اختلافهما.

والآخر: أن البدن تطلق على الإبل والبقر وقد ذهب إليه معظم أئمة اللغة وأبو حنيفة ومالك واختاره ابن كثير والألوسي والشنقيطي[(٥)]، واستدلوا بما جاء عن جابر ﷺ قال: « **اشتركنا مع النبي ﷺ في الحج والعمرة كل سبعة في بدنة، فقال رجل لجابر: أَيشتركُ في البدنة ما يشترك في الجزور؟ قال: ما هي إلا من البدن**»[(٦)]، والراجح والله أعلم القول الأول لأنه من قول النبي ﷺ، ولصراحة حديث أبي هريرة في التفريق بين البدنة والبقرة، ويجاب عن حديث جابر ﷺ بأن

(١) انظر بتصرف: لسان العرب (١٣/ ٤٧).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٥/ ٤١٣).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٦١).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٢٥)، وروح المعاني (١٧/ ١٥٥)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٥/ ٢٦٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٠١) حديث رقم (٨٤١).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٩٥٥) حديث رقم (٣٥٣).

مراده من قوله (ما هي إلا من البدن) أي في الحكم، فلو كانت البقرة من جنس البدن لما جهلها السائل ولفُهمت عند الاطلاق أيضاً.(١)

﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُمْ﴾ أي شرعنا لكم التقرب إلينا بالإبل، و﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي من أعلام دينه، وقد أضافها سبحانه وتعالى لنفسه تكريماً وتعظيماً لها، وحقها التعظيم كما قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ الخير في الدنيا والآخرة ففي الدنيا ركوبها وشرب لبنها وأكل لحمها وما ينتفع بها، وفي الآخرة الثواب والأجر من الله جزاء التقرب بها له سبحانه وتعالى، وقيل المقصود بالخير في الآخرة فقط ورجحه أبو جعفر النحاس والرازي وابن كثير(٢) وغيرهم، حيث ذكروا أن الله ﷻ ذكر المنافع الدنيوية في الآيات السابقة ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ثم عرّج سبحانه وتعالى على المنافع في الآخرة في هذه الآية.

المطلب الثاني: الخلاف في المراد بشعائر الله في القرآن الكريم

لا خلاف بين أهل العلم في أن لفظة (شعائر الله) تطلق في العموم ويراد بها أعلام الدين الظاهرة ومعالمه، ولهذا يَعُدون الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها مما هو من معالم هذا الدين الحنيف على أنه من شعائر الله؛ لكن الخلاف يظهر حينما يأتي الحديث عن لفظة شعائر الله في القرآن الكريم، وعن ورودها في بعض الآيات التي ربما تخصصها في معنى من المعاني، وقد استعرضت كلام المفسّرين حول لفظة (شعائر الله) والمراد منها في سياق الآيات الواردة فيها، وخلصت إلى أن الأقوال في معناها يمكن إجمالها فيما يأتي:

القول الأول: أنها عامة في أعلام الدين الظاهرة ومنها مناسك الحج، وإلى هذا

(١) انظر: روح المعاني (١٧/ ١٥٥)، وعون المعبود للمباركفوري (٦/ ٢٦٦).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤١١)، ومفاتيح الغيب (١١/ ١٢٠)، وتفسير القرآن العظيم (٥/ ٤٢٥).

القول ذهب عامة المفسرين كالطبري والجصاص والقرطبي والشنقيطي والسعدي وغيرهم[١]، قال الطبري عند تفسير قوله تعالى ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ مرجحاً العموم: «الله نهى عن استحلال شعائره ومعالم حدوده نهياً عاماً من غير اختصاص شيء من ذلك؛ فلم يجز لأحد أن يوجه معنى ذلك إلى الخصوص إلا بحجة يجب التسليم لها ولا حجة بذلك» [٢]، وقال السعدي عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ مرجحاً العموم أيضاً: «هذا دليل على أن الشعائر عام في جميع أعلام الدين الظاهرة»[٣].

القول الآخر: أنها خاصة في مناسك الحج، وإلى هذا القول ذهب الزمخشري وابن عاشور[٤]وغيرهم، قال ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: « فالشعائر ما جُعل علامة على أداء عمل من عمل الحج والعمرة وهي المواضع المعظمة مثل المواقيت التي يقع عندها الإحرام ومنها الكعبة والمسجد الحرام» ، وقال أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: «وشعائر الله لقب لمناسك الحج»[٥]، وقال سيد قطب (ت١٣٨٧هـ) عند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ : «وأقرب ما يتجه إليه الذهن في معنى ﴿شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ في هذا المقام أنها شعائر الحج وما تضمنته من محرمات على المحرم للحج أو العمرة» [٦]، وقال في موضع آخر: «أن آيات سورة الحج المكية-على

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن (٤/ ٣٩٢)، وأحكام القرآن للجصاص (١/ ٢٤٢)، والجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣٧)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٧٨)، تيسير الكريم الرحمن (١/ ٥٣٨).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري (١/ ٣٠١)، والتحرير والتنوير (٢/ ٥٣).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (٢/ ٥٣).

(٦) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٢/ ٣٠٨).

الأرجح – ذكرت معظم شعائر الحج بوصفها الشعائر التي أمر الله إبراهيم عليه السلام بها»[١].

وبعد التطواف والتأمل في أقوال المفسرين والنظر في معاني الآيات التي اشتملت على لفظة (شعائر الله) نجد أنها لم تخل من علاقة وارتباط بعلامة من علامات الحج، فآية البقرة اشتملت على ذكر الصفا والمروة وأنهما من شعائر الله وهما من علامات الحج الظاهرة، وآية المائدة اشتملت على ذكر الهدي وهو من أبرز مظاهر الحج وعلاماته حيث ذكر الله الهدي بعد استحلال الشعائر وهو من باب ذكر الخاص بعد العام، يقول ابن عاشور: «فعطف الشهر الحرام والهدي وما بعدهما من شعائر الله عطف الجزئيّ على كلّيّه للاهتمام به»[٢]، وآيات الحج كلها في سياق الحديث عن الحج بل إنه يتأكد فيهما أن الشعائر يراد بها مناسك الحج؛ وذلك لمناسبة السياق، ولهذا فالذي يتبين لي أن المراد بشعائر الله في القرآن مناسك الحج خاصة، ولا مانع من دخول غيرها فيها عند الاطلاق .

المطلب الثالث: ثمرة الخلاف في المراد بشعائر الله

قبل الشروع في معرفة ثمرة الخلاف في المراد بشعائر الله، ينبغي أن ندرك أن من الخلاف ما كان له ثمرة ومنه ما ليس له ثمرة، وهذا أمر معلوم لدى علماء الأصول، ولعل قائلاً يقول فما هي الثمرة المرجوة من معرفة الخلاف في المراد بشعائر الله في القرآن الكريم؟.

فأقول: ذكر غير واحد من المفسرين جملة من المسائل التي تنبني على معرفة المراد بشعائر الله، وهي على النحو الآتي:

أولاً: مسألة وجوب السعي بين الصفا والمروة، فقد نص عدد من العلماء على أن وجوب السعي بين الصفا والمروة مستفاد من كونهما من شعائر الله، يقول ابن

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ١٦٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٤/ ١٢٠).

عاشور: «والآية تدل على وجوب السعي بين الصفا والمروة بالإخبار عنهما بأنهما من شعائر الله فلأجل هذا اختلفت المذاهب»[(١)]، وقال السعدي: «وإذا كانا من شعائر الله، فقد أمر الله بتعظيم شعائره فقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ فدل مجموع النصين أنهما من شعائر الله، وأن تعظيم شعائره من تقوى القلوب، والتقوى واجبة على كل مكلف، وذلك يدل على أن السعي بهما فرض لازم للحج والعمرة كما عليه الجمهور»[(٢)]، وقال الشنقيطي مبيناً أدلة من قالوا أن السعي ركن من أركان الحج والعمرة: «قالوا: فتصريحه تعالى بأن الصفا والمروة من شعائر الله، يدل على أن السعي بينهما أمر حتمي لا بد منه، لأن شعائر الله عظيمة، لا يجوز التهاون بها، وقد أشار البخاري رحمه الله في صحيحه إلى أن كونهما من شعائر الله يدل على ذلك، قال: باب وجوب الصفا والمروة، وجعل من شعائر الله»[(٣)]، وقال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) في الفتح في شرح قول البخاري (وجعل من شعائر الله): «أي وجوب السعي بينهما مستفاد من كونهما جُعلا من شعائر الله، قاله ابن المنير في الحاشية»[(٤)].

ثانياً: تحديد معنى المنافع الواردة بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج:٣٣]، فتحديد المراد بالمنافع بهذه الآية ينبني على تحديد المراد بشعائر الله في القرآن، فمن قصرها على شعائر الحج قصر المنافع على ما ينتفع به الحاج في أماكن النسك في الحج، ومن قال بعمومها قال بعموم المنافع التي تحصل من تعظيم شعائر الله والقيام بها، وقد ذكر هذا جملة من المفسرين، يقول الطبري: «وأما الذين قالوا: معنى الشعائر في قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ شعائر الحجّ، وهي الأماكن التي يُنْسك عندها لله، فإنهم اختلفوا أيضا في معنى المنافع التي قال الله: ﴿لَكُمْ فِيهَا

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢/ ٥٥).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٧٦).

(٣) انظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٤/ ٤٦٧).

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٤٩٨).

مَنَفِعُ ﴾»[١]، وقال الرازي: «اعلم أن قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لا يليق إلا بأن تحمل الشعائر على الهدي الذي فيه منافع إلى وقت النحر، ومن يحمل ذلك على سائر الواجبات يقول لكم فيها أي في التمسك بها منافع إلى أجل ينقطع التكليف عنده، والأول هو قول جمهور المفسرين، ولا شك أنه أقرب»[٢]، وقال الألوسي (ت١٢٧٠هـ): «والمعنى على القول بأن المراد من الشعائر مواضع الحج، لكم في تلك المواضع منافع بالأجر والثواب الحاصل بأداء ما يلزم أداؤه فيها إلى أجل مسمى هو انقضاء أيام الحج»[٣].

ثالثاً: بيان الخلاف في مراد الله جل وعلا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج:٣٣]، فمن قال أن الشعائر هي شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي قال تنتهي إلى البيت وهو الطواف، ومن قال أنها البدن خاصة قال تنتهي إلى مكة أو الحرم، يقول ابن جزي (ت٧٤١هـ): «من قال إن شعائر الله الهدايا فمحلها موضع نحرها وهي منى ومكة ...، ومن قال إن الشعائر موضع الحج فمحلها مأخوذ من إحلال المحرم أي آخر ذلك كله الطواف بالبيت يعني طواف الإفاضة إذ به يحل المحرم من إحرامه، ومن قال إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق فذلك لا يستقيم مع قوله ﴿مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾»[٤].

رابعاً: تحديد المراد بالعطف في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾، فمن قال أن الشعائر هي أعلام الدين الظاهرة ذهب إلى أن هذه الآية معطوفة على قول الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ وتكون من قبيل عطف الخاص على العام، يقول ابن عاشور: «فعلى التفسير الأول تكون جملة

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن (١٨/ ٦٢٥).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١١/ ١١٨).

(٣) انظر: روح المعاني (١٧/ ١٥٣).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٥/ ٣٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٥٧)، والتسهيل لابن جزي (٢/ ٢١٨).

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ إلى آخرها عطفا على جملة ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الخ، وشعائر الله أخص من حرمات الله فعطف هذه الجملة للعناية بالشعائر، وعلى التفسير الثاني للشعائر تكون جملة ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ عطفاً على جملة ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ تخصيصاً لها بالذكر بعد ذكر حرمات الله»[(١)].

خامساً: أن تعظيم شعائر الله مبني على معرفة كنهها وحقيقتها، فلا يتصور من المسلم أن يُطالب بتعظيم أمر لا يعرفه ولا يدرك ما هيته!، ويعظم الأمر إذا كان مرتبطاً بالتقوى، فكلما عظّم الإنسان شعائر الله كلما كان تقياً مصداقاً لقول الله جل وعلا: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

هذا ما وقفت عليه من المسائل التي توضح بجلاء ثمرة الخلاف بالمراد بشعائر الله في القرآن، وأنه يتوقف على معرفة المراد بها الوقوف على بعض الأحكام، وكذلك بيان التفسير الصحيح لبعض الآيات المرتبطة بها.

(١) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٠).

المبحث الثالث

تعظيم شعائر الله وإظهارها

المطلب الأول: أهمية تعظيم شعائر الله

مما يُعلم أن الله جل وعلا حث ورغّب بتعظيم شعائره سبحانه وتعالى، وجعل تعظيمها علامة من علامات تقواه كما مر معنا سابقاً ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾؛ يقول ابن العربي (ت٥٤٣هـ): «فإن حالة التعظيم إذا كست العبد باطناً وظاهراً فأصله تقاة القلب بصلاح السر وإخلاص النية، وذلك لأن التعظيم من أفعال القلب، وهو الأصل لتعظيم الجوارح بالأفعال»[(١)]، ولهذا فقد جاء عن رسول الله ﷺ وسلف هذه الأمة عدد من الشواهد التي تبين مكانة شعائر الله في نفوسهم، وتبرز حقيقة التعظيم التي ينبغي أن يكون عليها المسلم، ومما يدل على تعظيم رسول الله ﷺ للشعائر ما جاء عند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم .. »الحديث**[(٢)]، فكان عليه الصلاة والسلام يعظّم مكة تعظيماً لشعائر الله، ومما يدل أيضاً على تعظيمه ﷺ لشعائر الله أنه كان يجتهد في العبادة والطاعة والبذل والإنفاق في شهر رمضان ما لا يجتهد في غيره من الشهور، يقول ابن عباس رضي الله عنهما كما عند البخاري: «**كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ...الحديث**»[(٣)]، وكان ﷺ يعظّم الأذان ويعظم الجمعة والعيدين وغيرها؛ وكان صحابة رسول الله ﷺ يحرصون أشد الحرص على تعظيم

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٥/ ٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٠٤)، ومسلم في صحيحه (١٣٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٨٠٣).

شعائر الله في كل شؤون حياتهم، يقول ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ): «فلهذا كان ابن عمر يكسو بدنه الجلل والقباطي والحلل فيجمّل بذلك بدنه؛ لأن ما كان لله تعالى فتعظيمه وتجميله من تعظيم شعائر الله تعالى»[(١)]، وهذا الذي ذكرناه كله يدل على أن المؤمن مأمور بتعظيم شعائر الله وتمييزها عن غيرها بحيث تعطى حقها من التعبد والإجلال والتقدير وغيرها من الأمور التي تعزز من مكانتها في النفس، قال الطبري: «وحقٌّ على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك»[(٢)] يعني الشعائر.

المطلب الثاني: إظهار شعائر الله

لكل دين من الأديان شعائر واضحة وظاهرة تُعرف ديانة البلد من خلالها، فلا ريب حينما تكون شعائر المسلمين ظاهرة وبادية للعيان تكون خير دليل على كون هذه البلاد بلاد إسلامية، ولا نبالغ إن قلنا أن إظهار الشعائر سبب في بقاء الدين، وتعطيلها سبب في نهايته؛ ولهذا جاء في حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدرس الإسلام كما يُدرس وشي الثوب، حتى لا يُدرى صيام ولا صدقة ولا نسك**...»الحديث[(٣)].

وقد ذهب العلماء إلى القول بوجوب إظهار شعائر الله والمبادرة بذلك واعتبروه أصلاً؛ خاصة إن كان في بلاد الإسلام، يقول الدسوقي (ت١٢٣٠هـ): «لأن الأصل المبادرة بإظهار الشعائر في البلد بمجرد فتحها ولا موجب للتأخير بعد زوال المانع»[(٤)]، ويقول الكاساني (ت٥٨٧هـ): «والسبيل في الشعائر إشهارها»[(٥)]، بل وطالبوا بالتزام هذه الشعائر؛ يقول ابن تيمية (ت٦٨٢هـ): «فأما الذين لا يلتزمون شرائع الإسلام

(١) انظر: الاستذكار لابن عبد البر (٤/ ٢٥٠).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن (١٨/ ٦٢٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (١٩٦٩)، والحاكم في مستدركه برقم (٨٤٦٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) انظر: حاشية الدسوقي (١/ ٥٠٤).

(٥) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني (٤/ ٤٨٣).

الظاهرة المتواترة فلا أعلم في وجوب قتالهم خلافاً»[(١)]، وهذا التأكيد من علماء الأمة قديماً وحديثاً على إظهار شعائر؛ لما يعلمون من أهميته وما يترتب عليه، فكلما كانت شعائر الإسلام ظاهرة وبادية كان لها تأثير في نفوس الناس في دينهم ودنياهم، وإذا خفيت هذه الشعائر اندرس الإسلام وذهب نوره، ومن نظر في بعض البلدان العربية والإسلامية اليوم يدرك جيداً ما يحرص عليه أعداء الإسلام من محاولة لإخفاء شعائر هذا الدين، وجعل التمسك به مجرد علاقة بالوجدان بين العبد وربه.

وأما في حال الاستضعاف فالأدلة متضافرة على جواز إخفاء الشعائر وكتمان الإيمان، ومن ذلك عموم قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[النحل: ١٠٦]، فإذا كان الحق تبارك وتعالى أذن لمن أكره بأن ينطق بالكفر ما دام أن قلبه مطمئن بالإيمان، فإخفاء الشعائر مع بقاء الإيمان أولى، يقول ابن تيمية: «وقد تكون الغربة في بعض شرائعه، وقد يكون ذلك في بعض الأمكنة، ففي كثير من الأمكنة يخفى عليهم من شرائعه ما يصير به غريباً بينهم لا يعرفه منهم إلا الواحد بعد الواحد، ومع هذا فطوبى لمن تمسك بتلك الشريعة كما أمر الله ورسوله، فإن إظهاره والأمر به والإنكار على من خالفه هو بحسب القوة والأعوان، وقد قال النبي ﷺ:«**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[(٢)]»[(٣)].

والأدلة غير هذه التي ذكرت كثيرة تدل على ذات المعنى وتأتي في هذا السياق ليس هذا مجال بسطها والإسهاب فيها.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٥٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٩) حديث رقم (١٨٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/ ٢٩٨).

الخاتمة

في ختام هذا البحث أحمد الله سبحانه وتعالى على ما منّ به عليّ من إتمامه، وقد ظهر لي من خلال هذا البحث النتائج التالية:

١- أظهر البحث أهمية الوقوف مع ألفاظ القرآن الكريم ودراستها دراسة موضوعية.

٢- الشعائر في المعنى الاصطلاحي لا تخرج كثيراً عن المعنى اللغوي، فهي في اللغة العلامة، وفي الاصطلاح: معالم الدين والطاعة والقرب.

٣- أضاف الله سبحانه وتعالى الشعائر له إضافة تعظيم وتشريف.

٤- تنقسم الشعائر من حيث كنهها وماهيتها إلى ثلاثة أنواع:

- شعائر مكانية مثل الصفا والمروة.
- شعائر زمانية مثل الشهر الحرام.
- شعائر ذوات مثل الهدي.

٥- من الألفاظ المرادفة لشعائر الله: حرمات الله، فرائض الله، حدود الله.

٦- اختلف العلماء في التفريق بين الشعائر والمشاعر على قولين، فمنهم من قال إن الشعائر هي المشاعر، ومنهم من قال إن الشعائر يراد بها العبادات والمشاعر يراد بها مواضع العبادات، والراجح أن هذين اللفظين إن اجتمعا افترقا وإن افترقا اجتمعا.

٧- جاء ذكر الشعائر في أربعة مواضع في كتاب الله جل وعلا هي على النحو الآتي:

- في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.
- في سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾.
- في سورة الحج وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

- في سورة الحج وهي قوله تعالى:﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾.

٨- اختلف المفسرون في المراد بشعائر الله في القرآن الكريم على قولين، الأول: إنها عامة في أعلام الدين الظاهرة ومنها مناسك الحج، والقول الآخر إنها مناسك الحج خاصة، والراجح والله أعلم أنها مناسك الحج خاصة ولا مانع من دخول غيرها عند الاطلاق.

٩- من المسائل التي تنبني على معرفة المراد بشعائر الله في القرآن ما يأتي:

- القول بوجوب السعي بين الصفا والمروة مستفاد من كونهما من شعائر الله.
- بيان معنى المنافع الواردة قوله تعالى ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ فمن قال أن شعائر الله هي شعائر الحج قصر المنافع على ما ينتفع به الحاج في أماكن النسك في الحج، ومن قال هي أعلام الدين الظاهرة قال بعموم المنافع التي تحصل من تعظيم شعائر الله.
- بيان الخلاف في مراد الله جل وعلا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾، فمن قال أن الشعائر هي شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي قال تنتهي إلى البيت وهو الطواف، ومن قال أنها البدن خاصة قال تنتهي إلى مكة أو الحرم.
- تحديد المراد بواو العطف في قوله تعالى ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، فمن قال أن شعائر الله هي أعلام الدين الظاهرة عطف هذه الآية على قوله تعالى ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فتكون من قبيل عطف الخاص على العام، ومن قال أنها مناسك الحج عطف هذه الآية على قوله تعالى ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾.
- أن تعظيم شعائر الله مبني على معرفة كنهها وإدراك حقيقتها، فلا يتصور التعظيم لأمر ما دون معرفته حق المعرفة.

١٠- دلت الأدلة من الكتاب والسنة على أن المؤمن مأمور بتعظيم شعائر الله، بل إن التعظيم أحد السبل الموصلة لتقوى القلوب.

١١- ذهب أهل العلم إلى القول بوجوب إظهار شعائر الله والالتزام بها، واستثنوا من ذلك الأصل حال الاستضعاف واستدلوا لذلك بعموم الأدلة الواردة في رفع الحرج.

وأما التوصيات، فلعل من أهمها:

❖ إقامة المؤتمرات والندوات التي تعنى بدراسة الأبحاث في التفسير الموضوعي، وبيان أهميته، فهناك جملة من المسائل والموضوعات التي بحاجة للبحث والتدقيق.

❖ التأكيد على دراسة التفسير الموضوعي ضمن مفردات المقررات في مرحلتي الماجستير والدكتوراه للمتخصصين في التفسير وعلوم القرآن.

❖ الاستفادة من وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي في تعزيز قيمة شعائر الله في نفوس النشء، بحيث ينعكس أثر تعظيمها على سلوكهم وأخلاقياتهم.

هذا ما تيسر جمعه ومناقشته في هذا البحث، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، وأن ينفعني به، وينفع به الإسلام والمسلمين.

فهرس المصادر المراجع

١- **أحكام القرآن، ابن العربي**، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري، راجع أصوله: محمد عبد القادر عطا، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

٢- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، لأبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٣- **أسباب نزول القرآن**، للواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، تحقيق: عصام الحميدان، ط٢، الدمام، دار الإصلاح، ١٤١٢هـ.

٤- **الاستذكار**، لابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

٥- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٦- **الاستيعاب في بيان الأسباب**، لسليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، ط١، الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ.

٧- **الأم**، للشافعي، محمد بن إدريس بن العباس، د.ط، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٠هـ.

٨- **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان، محمد بن يوسف بن علي، تحقيق: صدقي محمد جميل، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٩- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، للكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.

١٠- **تاج العروس من جواهر القاموس**، للزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، حققه مجموعة من المحققين، د.ط، دار الهداية، د.ت.

١١- **تفسير التحرير والتنوير**، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر، د.ط ، تونس، الدار التونسية ، د.ت.

١٢- **تفسير الثعلبي**، أبو أسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ.

١٣- **تفسير العثيمين**، لمحمد بن صالح العثيمين، ط١، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.

١٤- **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى السيد، وآخرين، ط٢، القاهرة: مؤسسة قرطبة،١٤٢١هـ.

١٥- **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**، آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ط١، المملكة العربية السعودية، دار التوحيد، ١٤٢٤هـ.

١٦- **تهذيب اللغة**، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٤٢١هـ.

١٧- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، للسعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

١٨- **جامع البيان عن تأويل القرآن**، للطبري، محمد بن جرير بن يزيد، تحقيق: أحمد شاكر، د١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

١٩- **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق: هشام بخاري، ط٢، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ.

٢٠- **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، د.ط، دار الفكر، د.ت.

٢١- **رد المحتار على الدر المختار**، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ.

٢٢- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٢٣- **سنن أبي داود**، السجستاني، أبوداود سليمان بن الأشعث، تحقيق: عادل مرشد وسليم عامر، ط١، عمّان: دار الأعلام، ١٤٢٣هـ.

٢٤- **سنن ابن ماجه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، فيصل الحلبي، د.ت.

٢٥- **شرح زاد المستقنع**، للشنقيطي، محمد بن محمد المختار، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٢٦- **شرح النووي على صحيح مسلم**، النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، إشراف: حسن عباس قطب، ط١ ، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ.

٢٧- **شرح صحيح البخاري**، ابن بطال، أبو الحسن علي بن الخلف، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط٣، الرياض، مكتبة الرشد،١٤٢٣هـ.

٢٨- **شرح مختصر خليل**، أبو عبد الله الخرشي، محمد بن عبد الله المالكي، د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.

٢٩- **صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد التيمي البستي، ترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤١٤هـ.

٣٠- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه "صحيح البخاري"** ، البخاري، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٣١- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، لمحمد، شرف الحق، العظيم آبادي، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٣٢- **العين**، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، د.ط، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٣٣- **الغرر البهية في شرح البهجة الوردية**، أبو يحيى السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، د.ط، المطبعة الميمنية، د.ت.

٣٤- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط، د.م، المكتبة السلفية، د.ت.

٣٥- **فتح القدير**، للشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ط١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.

٣٦- **فقه اللغة وسر العربية**، للثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ط١، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ.

٣٧- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، د.ط، دار الشروق، د.ت.

٣٨- **القاموس المحيط**، للفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، إشراف: محمد العرقسوسي، ط٨، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ.

٣٩- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري، محمود بن عمر، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٣، دار المعرفة، ١٤٣٠هـ.

٤٠- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، الخازن، علاء الدين علي بن محمد الخازن، تصحيح: محمد على شاهين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٤١- **لسان العرب**، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، د.ط، بيروت: دار صادر، د. ت.

٤٢- **اللباب في علوم الكتاب**، لابن عادل، سراج الدين عمر بن علي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

٤٣- **المجموع شرح المهذب**، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، د.ط، دار الفكر، د.ت.

٤٤- **مجموع الفتاوى**، لابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، د.ط، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٤٥- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٤٦- **مختار الصحاح**، للرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ.

٤٧- **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

٤٨- **المسند**، ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ.

٤٩- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ "صحيح مسلم"**، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٥٠- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، للبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ.

٥١- **معاني القرآن**، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، تحقيق: محمد بن علي الصابوني، ط١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.

٥٢- **معاني القرآن وإعرابه**، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، شرح وتحقيق: دكتور عبد الجليل عبده شلبي، ط١، بيروت، دار عالم الكتب، ١٤٠٨هـ.

٥٣- **معجم القواعد العربية في النحو والتصريف وذيل الإملاء**، عبد الغني الدقر، ط١، دمشق، دار القلم، ١٤٠٦هـ.

٥٤- **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، د.ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٥٥- **مفاتيح الغيب**، لأبي عبد الله الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٦- **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط١، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى الباني، د.ت.

٥٧- **الموسوعة الفقهية الكويتية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، (الأجزاء من ١-٢٣، ط٢، دار السلاسل، الكويت)، (الأجزاء ٢٤-٣٨، ط١، دار الصفوة، مصر، (الأجزاء من ٣٩-٤٥، ط٢، مطبعة الوزارة، الكويت)، ١٤٠٤-١٤٢٧هـ.

٥٨- **النكت والعيون**، لأبي الحسن الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

٥٩- **الوافي بالوفيات**، للصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	١٦٧
المقدمة	١٦٨
المبحث الأول: المراد بشعائر الله	
المطلب الأول: الشعائر في اللغة	١٧٣
المطلب الثاني: الشعائر في الاصطلاح	١٧٣
المطلب الثالث: إضافة الشعائر لله	١٧٤
المطلب الرابع: أنواع الشعائر	١٧٥
المطلب الخامس: الألفاظ المرادفة للشعائر	١٧٦
المطلب السادس: الفرق بين الشعائر والمشاعر	١٧٧
المبحث الثاني: ورود شعائر الله في القرآن	
المطلب الأول: الآيات التي اشتملت على لفظة (شعائر الله) في القرآن	١٨٠
المطلب الثاني: الخلاف في المراد بشعائر الله في القرآن	١٨٧
المطلب الثالث: ثمرة الخلاف في المراد بشعائر الله	١٨٩
المبحث الثالث: تعظيم شعائر الله وإظهارها	
المطلب الأول: أهمية تعظيم شعائر الله	١٩٣
المطلب الثاني: إظهار شعائر الله	١٩٤
الخاتمة	١٩٦
فهرس المصادر والمراجع	١٩٩
فهرس الموضوعات	٢٠٤